السّياق ودوره في تحديد دلالات الاستلزام التخاطبي
دراسة في كتاب " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان "
نماذج مختارة من الحديث النبوي

Context and its role in determining the mplications of discourse invocation.

Study in the book of "peals qnd coral as agreed by the tzo sheikhs"

Selected models from the prophets hadith.

أ. عبد الصّمد بطوش [1]

إشراف الدّكتور: سليمان بن سمعون

تاريخ الإرسال: 06 02 2019 **تاريخ القبول:** 17 10 2019

ملخّص: يهدف البحث إلى تسليط الضّوء على دور السّياق في تحديد المعاني وكذا علاقة السّياق بنظريّة الاستلزام التّخاطبي في الوصول من معنى مباشر إلى معنى غير مباشر مستلزم، بدءا بتعريف السّياق والاستلزام وبحث الفرق بينهما، ثم بيان مظاهر تطبيقهما على الحديث النّبوي وهذا من خلال نماذج مختارة من الحديث النّبوي من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان

الكلمات المفتاحيّة: السّياق، الاستلزام التّخاطبي، معنى مباشر، معنى مستلزم الحديث النّبوي.

_**Abstract :**This research shed light on the role of context in determining to meanings as well as to relation of to context to the theory of discourse invocation in access from a direct meaning starting with

definings the context and invocation, then showing the manifestations of applying them to the prophets speech hadith this would happen through selected samples from the prophets hadith from the book of "pearls and coral as agreed by the two sheikh"

Key words: Context, discourse invocatin, direct meaning, necessning meaning the prophets hadith.

مقدّمة: عُرف السّياق قديما وحديثا في الدّراسات العربيّة والغربيّة، بذات المعنى مع اختلاف طفيف في المضامين، وله حضوره في الوقوف على المعنى المراد من العبارات أو الوحدات الكلاميّة [2]، فبه نصل إلى المعنى، والسّياق ليس حكرا على علم بعينه، لأنّنا لا نجانب الصّواب إذا قلنا أنّ السّياق وجد بقوة عند الفيلسوف، وعند النّحوي، وعند البلاغي، وعند الأصولي، وعند أصحاب النّظريات الحديثة على تنوعها واختلافها فكانت له الهيمنة بفرض نفسه، حيث لا يستطيع أي أحد من هؤلاء أن يقول إنّي لا أحتاج إليه، أو أُنتج عباراتي وجملي ونصوصي مستقلة وبعيدة عنه، ونحن نقول: السّياق موجود وله دخل كبير في تحديد عمليّة التّواصل، لهذا أردنا أن نقترب منه في بحثنا هذا، إلا أنّ هذا الاقتراب لا يكون بالطّريقة التّقليديّة، أي بسرد تعريفاته، بل بوضع عناصر اخترناها حيث رأينا أنّه لا يمكن تحديدها، أو الوقوف على جوانبها إلا به.

أوّلا: بين النّظريّة السّياقيّة ونظريّة الاستلزام التّخاطبي: تعدّ كلتا النّظريتين نظريّة مهمّة من نظريّات اللّغة، تصبو إلى استكناه المعنى النّموذجي للخطاب، وقد جاءت المقاربة بينهما تداوليا، بالنّظر إلى بنيّة المعنى فيهما ومستواهما الوظيفيّ في النّص وأدائهما كتحصيل سياقي ملائم مع الجوّ الخطابي وعلاقة الخطاب بأحوال المتخاطبين ومقاصدهم [3].

وتعنى النّظريّة الأولى بـ: «السّياق التّواصلي، للألفاظ والعبارات، ودراسة كل ما يحيط بالحدث اللّغوي من ظواهر غير لغويّة كـ:(المقام، والمتكلمين

ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال، وغيرها)، وأثر ذلك في استخلاص المعنى من النّص أو الخطاب في حين كان اعتناء النّظريّة الثّانيّة بالبحث عن معايير وضوابط (القدرة التّواصليّة) كوسيلة للوصول إلى المعنى في شكله التّداولي المطلوب» [4].

وبالتّدقيق في النّظريّتين نجد أنّهما: «يتشربان المعنى تداوليا ويسعيان إلى إنتاج علاقة خطابيّة مناسبة مع أوضاع المتخاطَبين ومقاصدهم وظروفهم المرهونة حيث يوظَّف الخطاب في كلتيهما لبلوغ المقصد التّواصلي، من خلال الرّبط بين النّص وغرضه، بغيّة الوصول إلى المعنى النّموذجي» .[(3)]

وقدّم هيثم محمد مصطفى مخططا [5] خلص من خلاله إلى استدلال بيانه: «توفر الإطار التّداولي المتكامل بين النّظريّتين والقضايا العلميّة الوظيفيّة للّغة والذي يكون المعنى فيهما مرهونا بخصوصيات سياق المقام الكلامي، وقدرة المبادئ الحواريّة المفترضة على احتواء وتحديد عمليّة الاتصال الضّروريّة للعبارة اللّغويّة، من خلال القدرة على الملاءمة والمناسبة للخطاب بما يهيئ التّواصل النّاجح بين المتكلّم والمخاطَب [6] وجاء المخطط على النّحو الآتي:

المقاربة التّداوليّة

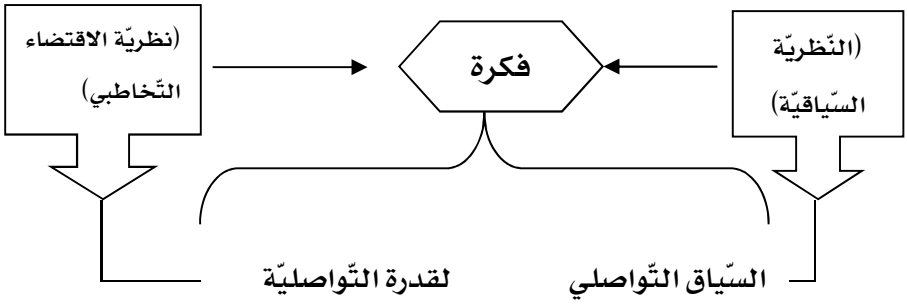

1. السّياق وأهميته:

للسياق [7] أهميّة كبيرة في فهم النّصوص وتحليلها، حيث إنّه كما قلنا سابقالم يكن محل اهتمام الباحثين في تخصص لسانيات النّص في الوقت الحالي لوحدهم، بل عمّ كل علماء اللسانيات، فانتبهوا له وأعطوه قيمته، وبرز حضوره في الدّرس اللساني وأيضا كما ذكرنا في توطئة هذا الفصل أنّ علماءنا القدامى أعطوه أهميّة فائقة، لِما كان له من دور في تحديد المعنى، وتوجيه دلالات العلامات اللّغويّة خاصة في كتاب الله العزيز وسنة نبيه الشّريفة.

فعمليّة التّواصل دائما متعلّقة بعناصر تتدخل في تبيان المعنى: «إذ لا يمكن للمؤَوّل بحال من الأحوال الوصول إلى تأويل النّص دون النّظر في هذه العناصر ومن هنا يكون السّياق _ في الوقت الذي يُعدُّ فيه رافدا معرفيا للتداوليّة _ ضابطا تأويليّا يحدُّ من جُموح الافتراضات المتعدّدة التي قد تثيرها الرّسالة مكتوبة كانت أو ملفوظة أو غير ذلك، فإنّ السّياق بما يضعه بين يدي المحلل من معلومات «يحصر مجال التّأويلات، ويدّعِم التّأويل المقصود، ومن ثَمّ فهو الحارس الأمين للمعنى ». [8] ونفهم من هنا أنّ السّياق عنصر ضروري من عناصر ضبط المعنى في العمليّة التّواصليّة.

ويشير ابن قيّم الجوزيّة إلى أنّ: «السّياق يُرشد إلى تبيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدّلالة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالطٌ في مناظرته». [9] فهو يعدُّه الفيصل في توجيه قصد المتكلّم، لأهميته في موروثنا العربي _ بعدِّه المنهج الأمثل في تفسير القرآن الكريم وشرح سنة نبيّهﷺ_ فضلا على فهم المعنى وكشفه إذا حدث لبس أو غموض، كما يعدّ السّياق من أبرز ما اهتمت به كبار المدارس اللّغويّة على المستوى العالمي، فقد غدى نظريّة للدراسة الدّلاليّة، ومن بين المدارس التي اهتمت به مدرسة «فيرث (firth) _ اللّغوي الانجليزي _ الذي وضع نظريّة سمّاها "نظريّة السّياق". [10]

فجاء تصريحه الآتي بيانا لأفكاره: «إنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسيّيق الوحدة اللّغويّة، أي وضعها في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدّلاليّة تقع مجاورة لوحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها» [11]، ومن الميادين المعرفيّة التي برزت فيها أهميّة السّياق؛ التّداوليّة، حيث أخذ مسارا أكثر بعدا مع هذه الدّراسة، والتي عمّق أصحابها في مسالة السّياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللّغوي المحض، ليشمل السّياق الاجتماعي، والنّفسي، والثّقافي، حيث تسعى التّداوليّة أساسا للإجابة عن أسئلة المتكلّم وعلاقته بالمتلقّي، ودراسة اللّغة في علاقاتها بالعالم الخارجي، أي علاقاتها بظروف إنتاجها. [12] أي إنّ التّداوليّة حين تسعى للإجابة على تساؤلات المتكلّم فهي حتما تحتاج إلى ربط القول هنا بملابساته، وصبِّ اللّغة في قالب إنتاجها.

2. أقسام السّياق: إنّ دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظريّة السّياق تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حيث اقترح بعضهم: «تقسيما للسياق شمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لّغويّة، وغير لغويّة...» [13]. حيث كان للاهتمام الذي حظيّ به السّياق دوره في تقعيد النّظريّة السّياقيّة، وتوضيح تفصيلاتها ووضع منهجيّة لها، ففصّل العلماء في أنواع السّياق وصنّفوه إلى قسمين هما الأشهر [14].

1.2. السّياق اللّغوي، (المقالي) context linguistic : وهو سياق داخلي يتمثل في البيئة اللّغويّة للتركيب اللّغوي، حيث يضمّ مجموعة من العناصر (الوحدات الصّوتيّة، والصّرفيّة، التّركيب النّحوي، المعنى المعجمي المصاحبة الأسلوب البلاغي، ظواهر الأداء المصاحب للأداء اللّغوي) [15]. ويقول عنه أحمد محمد قدور في كتابه، مبادئ اللسانيات: « إنّه حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا محدّدا، ويشار في

هذا الصّدد إلى أنّ السّياق اللّغوي يوضّح كثيرا من العلاقات الدّلاليّة عندما يُستخدم مقياسا لبيان التّرادف والاشتراك، أو العموم، أو الخصوص، أو الفروق ونحو ذلك» [16] وكأنّه يقول بأن السّياق اللّغوي هو الذي يُحدّد العلاقات داخل التّراكيب الاسناديّة، وهو ما تُنتجُه الكلِمة بضمّها إلى أخواتها، وبضمّ القول إلى القول. ونمثل لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها: أنّ قريشا أهمّهم شأن المرأة المخزوميّة التي سرقت، فقالوا: ومن يُكلّم فيها رسول الله ﷺ؟ ثُمّ قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (**أتشفع في حد من حدود الله؟**) ثمّ قام فاختطب، ثمّ قال: "**إنّما أهلك الذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم.**

السّياق	المعنى
قطعت يدها(قطع اليد)	بترها وفصلها عن الجسم
قطع دابرهم	استأصلهم
قطع النّهر	عبره
تقطعوا أمرهم بينهم زبرا	تقسموه وتفرقوا
قطع الرّحم	عقها ولم يصلها
قطع الحديث	لم يكمله
قطعناهم في الأرض أمما	فرقناهم فرقا
تقطعت بهم الأسباب	انقطعت أسبابهم ووصلهم
تقاطع الشّيء	بان بعضه من بعض
القطع والقطيعة	الهجران
قطع لسانه	أسكته
انقطع البرد والحر	ذهب وقته
فقُطع دابر القوم الذين ظلموا	استُؤصِلوا من أخرهم

الضّعيف أقاموا عليه الحدّ؛ وأيم الله! لو أنّ فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعتُ يدها" [17]

فبالنّسبة للألفاظ التي اخترناها هي لفظة "الحدّ"، ولفظة "قطعت" ثمّ نأتي ببعض السّياقات المختلفة التي تكون فيها اللّفظة، والجدولين الآتين تفسير لذلك:

لفظة قطعت (قطع) [18] لفظة الحدّ [19]

السّياق	المعنى
حدود الله تعالى	الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها
حدّ السّارق	قطع يمينه
حدود الله	سميت كذلك لأنها تحدّ من إتيان ما جعلت عقوبات فيها (تلك حدود الله فلا تقربوها)
	أي أصبت ذنبا اوجب العقوبة
و من الحديث	
إني أصبت حدّا فأقمه عليّ	
حدّ السّكين وغيرها	منتهاه (المضاء)
حادّه	غاضبه مثل شاقّه
الحدُّ	الحيز والنّاحيّة
	المضاء في الدّين والصّلابة والمقصد إلى الخير
حديث عمر كنت أداري من أبي بكر بعض الحدِّ	
حد كل شيء	طرفه
حدّ الرّجل	بأسه ونفاذه في نجدته
حدَّ الرّجل عن الأمر	منعه
الحَدُّ	الصّرف عن الشّيء من الخير والشّر

من خلال هذه المحاولة البسيطة، نلاحظ كيف كان للكلام سياقا داخليا متمثلا في تلك العناصر التي ذكرناها، وأنّ الكلمة الواحدة تختلف باختلافه.

2.2. السّياق غير اللّغوي، أو سياق الموقف، أو سياق الحال context of situation:

ويُعرف أيضا بالسّياق الاجتماعي ويتمثل في: « كل العناصر غير اللّغويّة المحيطة بالعمليّة اللّغويّة» [20] أيضا هذا وكما يدل سياق الموقف على «العلاقات الزّمانيّة والمكانيّة التي يجري فيها الكلام، ونجد إشارة له عند البلاغيين، حيث عبّروا عنه بمصطلح (المقام)، وقد غدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلا مشهورا» [21] وينوّه الدّكتور تمّام حسّان إلى أنّ فكرة المقام عند البلاغيين سبقت ما صاغه الغربيون « تحت عنوان: context of situation بحوالي ألف سنة أو ما فوقها، بيد أن كتب هؤلاء لم تجد الدّعايّة الكافيّة على المستوى العالمي ما وجده مصطلح هؤلاء، بسبب انتشار العالم الغربي في كل الاتجاهات» [22]

وتبعا لقول البلاغيين (بالمثال يتضح المقال)، نمثل بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حين قال: قال النّبيّ ﷺ: (**الحرب خُدْعَة**) [23] إنّ القارئ للحديث النّبويّ الذي بين أيدينا يتبادر إلى ذهنه أنّ النّبيّ ﷺ أمرنا بالخداع في الحرب، وهو الظّاهر من كلامه فإن كان الأمر كذلك، فالإسلام إذن دين خداع ومكر،... و حاشاه ﷺ من كل هذه الصّفات، حيث يقول فيه الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم /الآيّة 4، و الدّليل من سنته ﷺ، أنّه نهى عن قتال العدو ممن لم تبلغهم الدّعوة حتى يدعوهم إلى الإسلام لأنه يلزمهم الإسلام قبل العلم [24] استنادا إلى قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء/ الآيّة 15) و بالتّالي لا يجوز قتالهم

على ما لا يلزمهم، وإن بلغتهم الدّعوة فالأحبّ أن يُعرض عليهم الإسلام وجاء سياق الحديث في غزوة الخندق، حيث رأى أنّ الرّأي في الحرب أبلغ من القتال [25]. وذكر بعض أهل السّير«أن النّبيّ ﷺ قال هذا يومَ الأحزاب لمّا بعث نعيم بن مسعود أن يَحول بين قريش وغطفان، ويهود، ومعناه أنّ المماكرة في الحرب أنفع من المكاثرة والإقدام على غير علم، ومنه قيل نفاذ الرّأي في الحرب أنفذ من الطّعن والضّرب وقيل [...] الخداع في الحرب جائز كيفما أمكن ذلك إلاّ بالأيمان والعهود والتّصريح بالأيمان فلا يَحلُّ شيء من ذلك » [26]

حيث جُوِّز في الحرب ما لم يُجوَّز في غيرها من التّعريض مما يُنحى به نحو الصّدق مما يَحتمل المعنى الذي فيه الخديعة والغدر والألغاز، لا القصد إلى الإخبار عن الشّيء بخلاف ما هو عليه، ومنه: قول المبارز لندّه: خذ حزام فرسك قد انحلَّ؛ يشغله عن الاحتراس منه فيجد فرصة، وهو يريد أن حزام سرجه قد انحلَّ فيما مضى من الزّمان، أو يخبره من خبر يفظعه من موت أميره وهو يريد موت المنام أو الدّين ولا يكون قصد الإخبار عن الشّيء على خلاف ما هو عليه البتة، لأنّ ذلك حرام [27]

وهذه العبارة كثيرة المعنى مع اختصارها، فَمِنْ معناها، الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن و لو مرة، و إلا فقاتل [28] و من بين اللغات التي جاء عليها نص الحديث «قال سلمة بن عاصم تلميذ الفراء: من قال الحرب خُدْعَة فهو يَخْدَعُ و إذا خَدَعَ أحد الفريقين صاحبه فكأنها خُدِعَت هي، ومن قال خِدعَة، فقد وصفها باسم المصدر فيحتمل أن يكون في معنى خِدعَة تخدَعُه أي هي تَخْدَعُ وصف المفعول بالمصدر كما تقول: درهم ضرب الأمير، و إنّما هو مضروب الأمير. و قال بعض أهل اللغة: معنى الخَدْعة: المرّة الواحدة [...] والحرب خَدْعَة هذه أفصح اللّغات بفتح الخاء و إسكان الدّال » [29]

ومنها أيضا: « ... بالفتح فيهما، وهو جمع خادع أي أنّ أهلها بهذه الصّفة و كأنّه قال أهل الحرب خُدعَة [...] و فيه التّحذير على أخذ الحذَر في الحرب [...]

و هو كقوله ﷺ: (**الحج عرفة**) [30]، ومعنى الحرب خُدعَة، أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنّما هي المخادَعَة لا المواجهة، و ذلك لخطر المواجهة، وحصول الظّفر مع المخادَعَة بغير خطر» [31] وأول ما قالها ﷺ في غزوة الخندق.إذن بالرّجوع إلى سياق الحديث، وربطه بملابسات القول يتضح أنّ المعنى مختلف تماما إنمّا هو خاص بمكر الحرب، و بالتّشاور و الأخذ بالرّأي الصّواب فيها لأن القضيّة قضيّة حياة أو موت، يقول المتنبي [32]:

الـــرّأي قبـــل شـــجاعة الشّـــجعان هـــو أول و هـــي المحـــل الثّـــاني
فـــإذا همـــا اجتمعـــا لـــنفس حـــرة بلغـــت مـــن العليـــاء كـــل مكـــان
و لربّمـــا طعـــن الفتـــى أقرانـــه بـــالرّأي قبـــل تطـــاعن الفرســـان

و صدق الله العظيم، إذ يقول في وصف الحبيب المصطفى ﷺ بعد M: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ النّجم/ 1- 4

ثانيا: العبارات اللّغويّة عند غرايس (H.P GRICE): لاحظ غرايس أنّ جمل اللّغات الطّبيعيّة يمكن في بعض المقامات أن تدلّ على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي (أو معناها الحرفي) [33] أي إنّ للكلام دلالتّان: صريحة ومضمرة [34]، ولهذا جاءت العبارات اللغويّة عنده على صنفين:

1. المعاني الصّريحة: وهي المعاني المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها [35] أي هي تلك الدّلالة التي تدل عليها البُنيّة اللّغويّة بالوضع [36]، حيث تشمل:

1.1 المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد، أي إنها الدّلالة الحرفيّة.

2.1. القوة الانجازيّة الحرفيّة: وهي القوة الدّلاليّة المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبيّة ما: كالاستفهام، والأمر، والنّهي، والتّوكيد، والنّداء والإثبات والنّفي... [37]

2. المعاني الضّمنيّة: حيث يكون للسياق دخل في تحديدها والتّوجيه إليها وتتجلى دلالتّها في: « ذلك الذي لا تدل عليه ألفاظ التّعبير، ولا صورة التّركيب؛ وإنمّا يدل عليه السّياق (المقام) » [38]. وتشمل:

1.2. معان عرفيّة: وهي الدّلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء [39].

2.2. معان حواريّة (أو سياقيّة): تُولد حسب السّياقات التي تنجز فيها الجملة، أو حسب المقامات، وهي بذلك: معان استلزاميّة [40].

وإذا قلنا أن العبارات صريحة و ضمنيّة، فمفهوم الضّمني قد شدّ انتباه التّداوليين فأوستين [41] (J.L. AUSTIN) يشير إليه أكثر من مرة مع أنه في كتابه [42] لا يقترح صياغة له - صياغة مفهوميّة ولا صياغة نظريّة- و قد ماثل بين الإخبارات والأعمال الإنجازيّة بواسطة « الاقتضاء » [43]، وعلى إثر أوستين يعرف سورل [44] (J.SEARLE) الضّمني بشكل أكثر وضوح باعتباره الشّرط السّياقي لنجاح عمل لغوي [45]

وقد اقترح أحمد المتوكّل خطاطة توضح تصنيف المعاني المكوّنة للحمولة الدّلاليّة لجمل اللغات الطّبيعيّة حسب مقترحات غرايس وهي كالآتي:

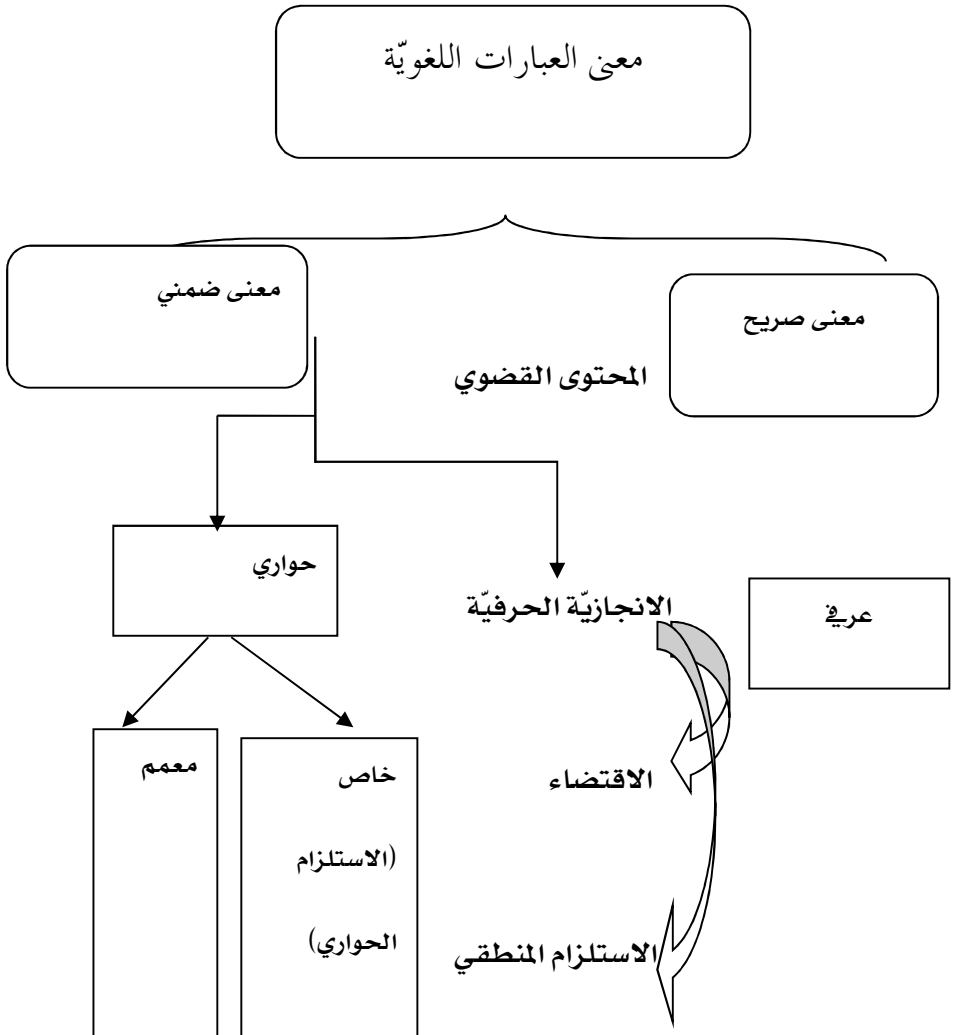

المخطط 46

وجاء منه في الحديث النّبوي:أنّ رسول الله M قال: (أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟) 47

فالمعنى الصّريح للحديث مشكّل من محتواه القضوي وقوته الإنجازيّة، فأما المحتوى القضوي: فهو ناتج من ضم معاني مكوناته : الخروج مع الرّاعي

للاستزادة من ألبان الإبل في مرابدها لِما فيه من فائدة وهو ساخن أي بعد أن يُحلب مباشرة.

وأمّا قوته الإنجازيّة الحرفيّة، والمؤشر لها بالأداة (أفلا)، فهي الاستفهام، وينتج معناه الصّريح من ضم محتواه القضوي إلى قوته الإنجازيّة الحرفيّة، والمعنى الضّمني للحديث يتألف من معنين جزئيين هما كالآتي:

معنى عرفي هو الاقتضاء: جاء قوله ب(فتصيبون) من ألبانها، أي على جناح السّرعة، وإنّما كان هذا اقتضاء حالهم الصّحيّة أي لسقم أجسامهم

ومعنى حواري استلزامي: وهو طلب النّبيّ ﷺ من القوم الذين شكوا سقم أجسامهم له، الخروج بسرعة مع راعي الإبل، ولم يكن يستشيرهم في ذلك والمخطط [48] الآتي يوضح هذا التّصور:

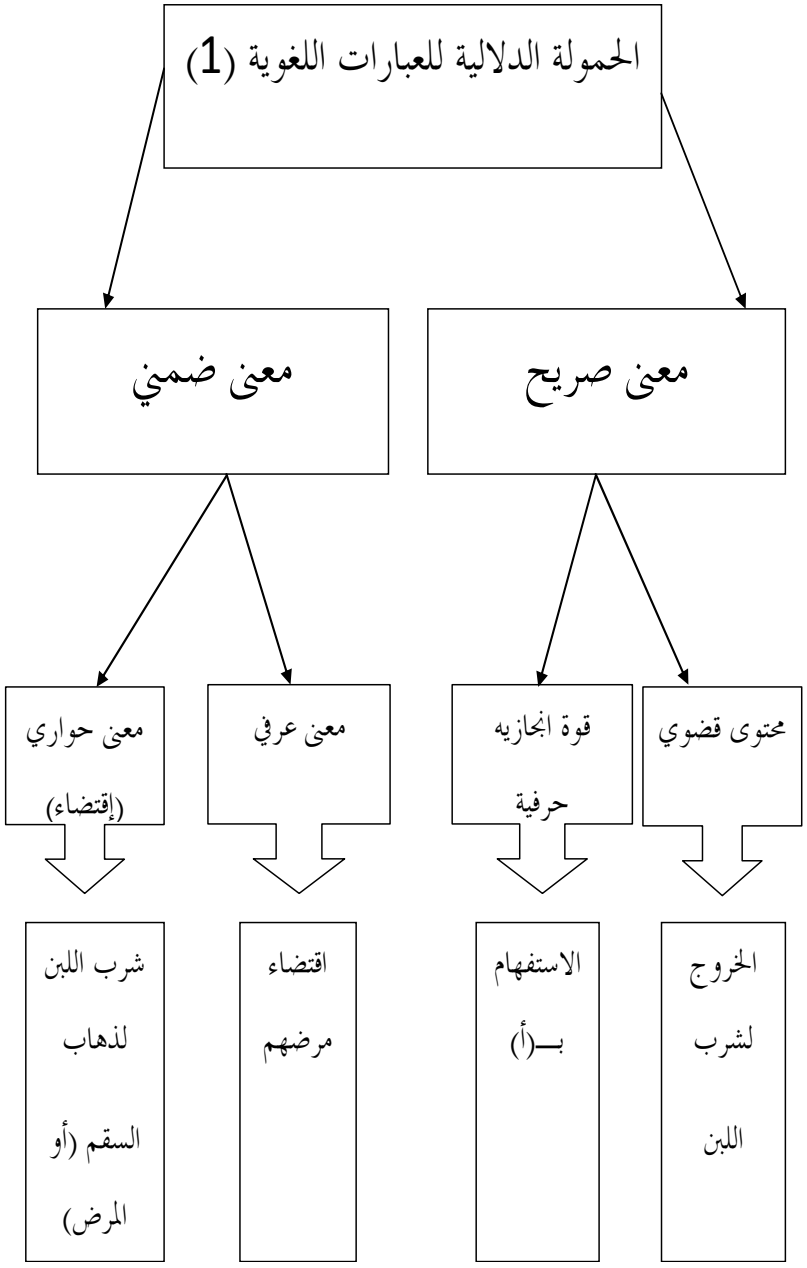
الحمولة الدلالية للعبارات اللغوية (1)
معنى صريح
معنى ضمني
محتوى قضوي
قوة انجازيه حرفية
معنى عرفي
معنى حواري (إقتضاء)
الخروج لشرب اللبن
الاستفهام بـــ(أ)
اقتضاء مرضهم
شرب اللبن لذهاب السقم (أو المرض)

ثالثًا: قانونا التّعرف على الاقتضاء: وقد حدّد دارسونا بعض القوانين التي يمكن من خلالها التّعرف على استلزامات القول، وعلى رأس ذلك ما أوجبه طه عبد الرّحمن من إتباع قانونين تخاطبيين للوصول إلى الاستلزامات، وهما [49]:

1. **قانون الاختصار:** يقضي هذا القانون بأن يضمر المُلقي في كلامه ما دلّت عليه القرائن، مقاليّة كانت أم مقاميّة، بحيث قد يفضي التّصريح به للمتلقي إلى أن يطلب فيه هذا المتلقي معنى غير المعنى الذي سيق له هذا الكلام [50].

ويشير طه عبد الرّحمن هنا إلى أنّ اللسان العربي ينماز على كثير من الالسّن بكونه:«يميل إلى إيجاز العبارة وطي المعارف المشتركة طيا، اعتمادا على قدرة المخاطَب في تدارك ما أضمر في الكلام، وفي استحضار أدلته السّياقيّة، بل إبداعها من عنده متى اقتضت ذلك حاجة الفهم، ومعلوم أنّه على قدر ما يأتي المتكلّم من الإضمار يأتي المستمع من الجهد في الفهم » [51]

وسنوضح هذا من خلال حديث البرّاء ﷺ قال: أُهديت للنبي ﷺ حُلّة حرير فجعل أصحابه يمسونها و يعجبون من لينها،فقال" **أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين"**، وفي حديث أنس ﷺ قال: أُهدي للنبيّ ﷺ جُبّة سُندسٍ وكان ينهى عن الحرير، فعجب النّاس منها فقال: **"و الذي نفس محُمّد بيده! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا "** [52]

وجاء في هامش كتاب اللؤلؤ والمرجان بعض من شرح الحديث فمثلا: المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يُحمل في اليد قال ابن الأعرابي وابن فارس وغيرهما: هو مشتق من النّدل، وهو النّقل، لأنّه ينقل من واحد إلى واحد. وهي أدنى الثّياب لأنّه معدٌّ للوسخ والامتهان، فغيره أفضل.

وفي الحقيقة اعتمدنا على شرح هذه اللّفظة دون غيرها من ألفاظ الحديث لأنّها محلُّ الشّاهد في هذا الحديث، ومن هنا نطرح السّؤال الآتي: كيف

للنبيّ ﷺ أن يساوي حلّة الحرير بمنديل!؟ هل في الحقيقة أنّ تلك المناديل أحسن من حلّة الحرير؟ أم أنّ وراءها سرٌّ عظيم أي إنّ النّبيّ ﷺ حين قال المناديل لم يكن يقصد المناديل في حدّ ذاتها، إنّما هناك شيء وراءها، فإذا عدنا و استقرانا ألفاظ الحديث فسيُكشف لنا بعض اللبس و الغموض، فقول النّبيّ ﷺ أو تساؤله: أتعجبون من لين هذه؟ وجاء حين كان أصحابه يلمسون تلك الحلّة و يعجبون و يتعجبون من لينها و جمالها، حيث إن النّبيّ ﷺ ردها في البدايّة على صاحبها وجاء في حديث قيس بن النّعمان: « أنّه لّما قدم أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذّهب فرده النّبي ﷺ، ثُمّ إنّه وجد في نفسه من رد هديته فرجع به، فقال له النّبي ﷺ ادفعه إلى عمر» [53] وكان النّبي ﷺ يريد أن يقول شيئا وهذا يتحدد من خلال سياق الحديث، أي إن هذه السّلعة رخيصة ولا تساوي عند الله شيئا- ألا إنّ سلعة الله غاليّة، ألا إنّ سلعة الله الجنّة- [54] فيستدل بمناديل سعد بن معاذ خير منها في الحديث الأوّل، وفي الحديث الثّاني، لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة خير منها ففي الحديث الأوّل كانت القرينة الدّالة على أنّ سعدا في الجنّة مقاميّة، من خلال سياق الحديث، وأمّا في الحديث الثّاني فكانت القرينة مقاليّة وهي لفظة الجنّة فالنّبيّ ﷺ لم يقل إنّ معاذا في الجنّة وإنّما أشار إلى مناديله فإذا كانت مناديل سعد بن معذ خير من هذه الحلّة هذا اقتضاء على أنّ سعدا بن معاذ في الجنّة، قال الإمام النّووي: (قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنّة، حيث إن أدنى ثيابه فيها خير من هذه) [55]

و إذا أردنا تطبيق "قانون الاختصار" على الحديث النّبوي رقم: [1]، فإنّنا سنصل من خلاله إلى جملة من الإضمارات التّداوليّة، وهي عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها ؛ ونذكر في هذا الصّنف من الإضمارات مايأتي: [1] حديث جرير [56]، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا تَرِيحُني من ذي الخلصة [57] ؟)**

أ- إنّ المتكلم يخاطب المستمع في حضوره، (الكلام بين النّبي ﷺ و جرير)

ب- إنّ هناك علاقة تعارف تجمع بينهما ؛

ج- إنّ هناك طرقا في التّعامل بينهما ؛

د- إنّ الجهاد في سبيل الله عمل محمود، (بعثه لكسر الأصنام الموجودة هناك)؛

هـ- الاستعانة في الجهاد بالغير عمل مشروع، (استعان النّبي ﷺ بجرير في مجاهدة أهل ذي الخلصة).

كما نتعرف فيه بفضل هذا القانون- قانون الاختصار- على جملة من الإضمارات الدّلاليّة، وهي عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها هو مجرد البُنيّة الدّلاليّة للقول [58]. رغم أنّه لم يفصل بين الجانب التّداولي والدّلالي ونورد من هذا الصّنف من الإضمارات مايأتي:

و- إنّ المخاطَب يملك قدرة؛

ز- إنّ المخاطَب يقبل الذّهاب؛

ح- إنّ المتكلّم لا يستطيع الذّهاب.

إنّ المتكلّم يملك ثقة في المخاطَب.

إنّ المتكلم يطلب التّخلص من قوم يعبدون الأصنام.

2. قانون حفظ المقتضى: «يوجب هذا القانون أن يبقى المقتضى محفوظا في القول متى تقلبت عليه أساليب الكلام، إن خبرا أو إنشاء، إيجابا أو سلبا، بحيث يبقى في مقدور المتلقي أن يجد لكلّ صيغة أسلوبيّة يرد فيها القول المقتضي (بكسر الضّاد) تأويلا يلزم منه وجود المقتضى (بفتح الضّاد) » [59].

ويجلّي طه عبد الرّحمن التّعريف: «بأنه ينطوي على افتراض أنّ لكل صيغة تعبيريّة وجها فأكثر لفهم معناها ؛ يترتب على ذلك بأنّه بالإمكان تقسيم

الصّيغ التي يدخل في تركيبها القول المنظور في اقتضاءاته إلى قسمين اثنين أحدهما: قسم الصّيغ التي لا تحمل على الأكثر إلاّ تأويلا واحدا » [60].

حيث لاحظ إن الاقتضاءات الملازمة للقسم الأوّل تكون واجبة الوجود فيه بينما تكون اقتضاءات القسم الثّاني جائزة الوجود فيه، وإنّه لايستبعد أن تتفاوت درجة هذا الجواز، فقد يكون التّأويل الحامل للاقتضاءات المطلوبة لنا راجحا على غيره من التّاويلات الممكنة الصّيغة أو يكون مساويا له أو حتى مرجوحا؛ و لا ضير في هذا لأن المطوب ليس إلّا إمكان بقاء المقتضى من وراء تقلب الصّيغة، وليس أبدا وجوب هذا البقاء، ويكفي في ذلك الظّفر بتأويل يحفظ هذا المقتضى، غلب على الصّيغة أم لم يغلب عليها [61].

وإذا أردنا تطبيقه على الحديث السّابق، [1] فسنصل من خلاله إلى التّحقق من الصّفة الاقتضائيّة لتلك المجموعة من الإضمارات السّابقة بنوعيها: التّداوليّة والدّلاليّة وذلك بإضهار عدم تأثرها بمختلف التّحويلات الأسلوبيّة التي نجريها عليه إذ تبقى هذه الإضمارات حاضرة في الصّيغ الخبريّة والإنشائيّة التي ننقل إليها هذا الحديث، حيث نلاحظ من خلالها بقاء الإضمارات المذكورة، وهي:

[2] لا تريحني من ذي الخلصة؛

[3] أرحتني من ذي الخلصة، (خبر مثبت)؛

[4] لن تريحني من ذي الخلصة، (خبر منفي)؛

[5] هل تريحني من ذي الخلصة؟، (إستفهام)؛

[6] ما أعجلك في إراحتي (في التّخلص) من ذي الخلصة، (تعجب)؛

[7] يا ليتك (لو) تريحني من ذي الخلصة، (تمن).

وسنوضح إن شاء الله كيف أنّ تلك الإضافات في التّركيب لم تغير القول الأصل، مستندين في ذلك أو متّبعين في ذلك الطّريقة التي طبقها طه عبد

الرّحمن في كتابه، التّكوثر العقلي في الصّفحة 114- 115، حيث نأخذ على سبيل المثال صيغة التّمني، [7] ونعمل على مقابلتها بغيرها، حيث تبدو وكأنّها تقوم مقام الصّيغة، [1] - صيغة الحديث – حيث نستطيع الاستغناء في اختبارنا لبقاء المقتضي بـ [7] عن الصّيغتين [4] المنفيّة، [5] الاستفهاميّة، لأنّ دلالتّهما الحرفيّة تنتقل إلى دلالة مستلزمة وهي (طلب) وما عليه التّمني في [7]، فتبقى لنا الصّيغتان [3]، [6] والظّاهر هنا أنّ ما لـ [3] من الاقتضاءات، ما تدخل فيه اقتضاءات التّعجب: [6]، وعن طرق التّعديّة نستغني عن [3]، [6] ومنه نصل إلى إثباتنا بكفايّة جملة التّمني [7] في التّدليل على بقاء المقتضى.

وعند الرّجوع للمقارنة بين [1] و [7] يتضح لنا بقاء المضمرات التّداوليّة في [7] على الرّغم من تلك التّغيرات مع تغير الأدوات.

خاتمة:

وفي ختام هذا الفصل نكون قد وصلنا إلى ما تساءلنا عنه في توطئتة إن شاء الله، حيث إنّنا استنتجنا ما كان للسياق من دور في تحديد وتوجيه دلالات الاقتضاء وكيف كان له دخل في الوقوف على طرق أبواب الصّريح من الكلام وكسر أبواب الضّمني منه، وأيضا كيف كان حضوره بقوة في قوانين التّعرف على الاقتضاء (قانون الاختصار)، (قانون حفظ المقتضى) وعليه نستطيع القول إننا لا نستطيع فصل الاقتضاء عن السّياق، وهذا ما خلصنا إليه حيث إنّه:كلّما وجدت عناصر لغويّة حاملة لقوة اقتضائيّة معينة، في جملة أو تعبير أو ملفوظ كلّما حصل اقتضاء بالقوة أو بالفعل.

الاقتضاء يحدّد باعتبار المقامات (السّياقات) التي ينجز فيها، والتي تضمّ المواقف القضويّة ومقاصد كل من المتكلم والمخاطب

يعد السّياق ركيزة أساسيّة نصل من خلالها إلى المعنى المضمر في هاته المدونة، والسّياق أيضا عامل مهمّ في تحديد محتوى القضيّة.

الهوامش:

[1] جامعة غردايّة، الجزائر، البريد الإلكتروني: Bettouche2603@gmail.com

[2] جون لاينز، **اللّغة والمعنى والسّياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامة، بغداد العراق، ط 1، 1987، ص 242.

[3] - ينظر نفسه، ص 249.

[4] - نفسه، ص 250.

[5] – يحاول من خلاله إعطاء أسبقيّة البيان لهذه المقاربة الحاصلة في البحث بين النّظريتين .

[6] – هيثم محمد مصطفى، **بين نظريّة السّياق ونظريّة الاستلزام الحواري**، ص 250.

[7] - جاء في لسان العرب، سوق: «السّوق: معروف، ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسوّاق، شدّد للمبالغة.

[8] - عيد بلبع، **السّياقيّة و السّياقيون**، مقدمات تأسيسيّة، مجلة سياقات، العدد 1، دار بلنسيّة القاهرة، مصر، ط 1، 2008، ص 12.

[9] – ابن قيّم الجوزيّة، **بدائع الفوائد**، تحقيق علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة، السّعوديّة، ط 1، 1424ه، مج 4، ص1314.

[10] - ينظر محمود بوستة، **الاتساق والانسجام في سورة الكهف**، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخصر، باتنة ، الجزائر، 2009، ص 156.

[11] - أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، عالم الكتب الحديث، القاهرة، مصر، ط 5، 1998 ص 69.

[12] - ينظر علي آيت أوشان، **السّياق والنّص الشّعري من البنيّة إلى القراءة**، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000، ص16، وينظر باديس لهويمل، **السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم _ متابعة تداوليّة_** ، مجلة المخبر ، ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر العدد09، 2013، ص 165.

[13] - أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 2، 1999، ص 295. وينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة** دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان، ط 1، 2004، ص 42- 43- 44.

[14]- ينظر شاذليّة سيد محمد السّيد، **السّياق وأثره في بيان الدّلالة، دراسة تأصيليّة تطبيقيّة في غريب الحديث**، مجلة الدّراسات اللغويّة والادبيّة، كليّة التّربيّة، جامعة الجزيرة، السّودان ص 110.

[15]– ينظر نفسه، ص 110- 111.

[16]- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، ص 295.

[17]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ والمرجان** . . .، كتاب الحدود، باب قطع السّارق وغيره...، ص 269.

[18]- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 1 1981، المجلد 5، ج 41، باب القاف، مادة قطع، ص 3674.

[19]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 2، ج 10، باب الحاء، مادة حدد، ص 800.

[20]- شاذليّة السّيد محمد السّيد، **السّياق و أثره في بيان الدّلالة**...، ص 112.

[21]- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، ص 298.

[22]– ينظر تمّام حسّان، **اللّغة العربيّة معناها و مبناها**، دار الثّقافة، الدّار البيضاء المغرب، د ط، 1994 ص 337.

[23]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**...، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 281.

[24]- النّووي، **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الارشاد جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة،د ط، د ت، المجلد 21، كتاب الجهاد و السّير ص 144.

[25]- ينظر النّووي، **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، ص 154.

[26]- ينظر ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج 5، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 187

[27]- ينظر نفسه، ص 187.

[28]- ينظر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب فضل الجهاد و السّير، باب الحرب خدعة، ج 6 ص 183.

[29]- ينظر ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج 5، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 188.

[30]– مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1 1348ه- 1972 المجلد 5، ج 9، 33.

[31]- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، نفسه، ص 183.

[32]- حامد كمال، **معجم أجمل ما كتب شعراء العربيّة**، دار المعالي، عمان، الأردن، ط 1 2002، ص 412.

[33]- ينظر أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة مدخل نظري**، ص 26- 27- 28.

[34]- ينظر بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ط 1 2012، ج 1، ص 63

[35]- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة** ص 28.

[36]- بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، ج 1،ص 101.

[37]- مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط 1 2005، ص 35

[38]- بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، ج 1،ص 102.

[39]- مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، ص 35.

[40]- حافظ إسماعيلي علوي، **التّداوليات علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1 2011، ص 266.

[41]- أحد أعلام التّداوليّة، صاحب نظريّة أفعال الكلام، و رائد مرحلة تأسيس النّظريّة.

[42]- نظريّة أفعال الكلام (كيف نصنع أشياء بالكلمات).

[43]- فيليب بلانشيه، **التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان**، تر:صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقيّة سوريا، ط 1، 2007، ص 145.

[44]- أحد أبرز أعلام التّداوليّة مع صديقه أوستين، رائد مرحلة البناء (بناء نظريّة أفعال الكلام).

[45]- فيليب بلانشيه، **التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان**، ص 146.

[46]- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة**، ص 29.

[47]- محمد فؤاد عبد الباقي، **الؤلؤ و المرجان**، حديث انس، ص 265.

[48]- ينظر مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، ص 37.

[49]- ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**، ص 112.

[50]- نفسه، ص 112.

[51]- نفسه، ص 112.

[52]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**...، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ،ص 420.

[53]- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب الهبة، باب قبول هديّة المشركين، ص274.

[54]– عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إنّ سلعة الله غاليّة، ألا إنّ سلعة الله الجنّة". ينظر التّرميذي، **سنن التّرميذي**، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط 2، د ت المجلد 2، ج1، ص 410.

[55]– محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**، الهامش ص420.

[56]– نفسه، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله، ص421.

[57]– ذي الخلصة: هو بيت في اليمن كان فيه اصنام يعبدونها.

[58]– ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**، ص 113- 114.

[59]– طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان او التّكوثر العقلي**، ص 113.

[60]– نفسه، ص 113.

[61]– ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو لتكوثر العقلي** ، ص 113.